مكتبة في كتاب واحد

عام الوداع

كل ماتريد معرفته عن رسول الله ﷺ من حجة الوداع الى وفاته

سيدنا محمد

كتاب رؤى الثقافية

محمد خير الطرشان

عام الوداع

الأيام والساعات الأخيرة في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

محمد خير الطرشان
علاء الدين آل رشي

دراسة توثيقية معرفية متكاملة

عندما تتشابه وجهات النظر فهذا يعني أن الجميع لا يفكرون.

جورج هس ياتون

مؤسسة رؤى الثقافية

ثقافة وفنون

المملكة العربية السعودية
صندوق بريد ٥٧٠٣٨
الرمز البريدي ١١٥٧٤
تلفون المكتب: ٢١٦٨٦١٤
فاكس: ٢١٦٨٦١٤ ـ تحويلة ١٠٨

جميع الحقوق محفوظة

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced,stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic , mechanical, photocopying, recording or therwise, without the prior permission , in writing , of the publisher.

الطبعة الثانية : ٢٠٠٩م - ١٤٢٩ ؛ ١٤٣٠ هـ .
عدد الصفحات : ٣٢٠
المؤلف : محمد خير الطرشان
الكتاب : (عام الوداع)
الأيام والساعات الأخيرة في حياة الرسول محمد ﷺ .

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

المقدمة

الله
رسول
محمد

إن المسلم الذي لا يعيش الرسول في ضميره ، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره لا يغني عنه أبداً أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة .

محمد الغزالي

إنه لشرف عظيم، وفخر كبير لي ، أن أقدم هذه الموسوعة الفريدة، التي قام بإعدادها الأستاذ محمد خير الطرشان ، فيما كنت أُجيل النظر، وأعمل العقل في بياناتها ومدلولاتها .

واجهني سؤال وأنا أتحدث عن هذه الموسوعة المباركة ، هل أنت مع نشر ثقافة بكائية ؟

في البداية صدمني هذا السؤال ...فما هو معروف عني أني بعيد أشد البعد عن كل ضعف ، أو إحياء ثقافة غير حياتية، إذ الذوق الثقافي -الذي اعتدت عليه وعودت عليه الكثيرين معي- ، لا يستسيغ تحويل الفكر إلى حالة بكائية، أو حروف غير مدربة إلا على النواح واللطم، ثم إني أومن أننا نعيش حياتنا في اطراد قدري عفوي ، وفكرنا أو ثقافتنا معلبات تاريخ، الذات عندنا جوهر ثابت اكتمل مرة وإلى الأبد، لا يتغير مع الزمان وآحاد البشر شأنهم شأن وحدات الأرابيسك تكرار نمطي وعددي . والامتداد الزماني لا يعني أولا وأساسا فعلا إنسانيا نشطا وتغييرا متصلا ..

مجتمع الأمس مثل مجتمع اليوم، ومجتمع الآخر نريده مثل مجتمع (الأنا) ثقافة اجتماعية وسلوكا، أو هكذا نرى قدره المرسوم، وإن اختلف معنا زعمنا أنه ضل السبيل .. الجميع سواء و ما يصدق على ذاك يصدق على الكل ، ولا مجال للتنوع ومن ثم لا مجال للحوار مع الآخر ، ولا مجال للتسامح مع الرأي المخالف، ولا نسعى إلى فهم أسباب الاختلاف أو السبيل إلى الوحدة مع التباين والتنوع والاختلاف، وسبب هذا الخطأ أو هذه الخطيئة أننا نظن أننا نملك الحقيقة المطلقة وهكذا أيضا تم تلقيننا أننا لنا الصدر أو القبر .[1]

---

١ انظر لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ، من مطبوعات عالم المعرفة

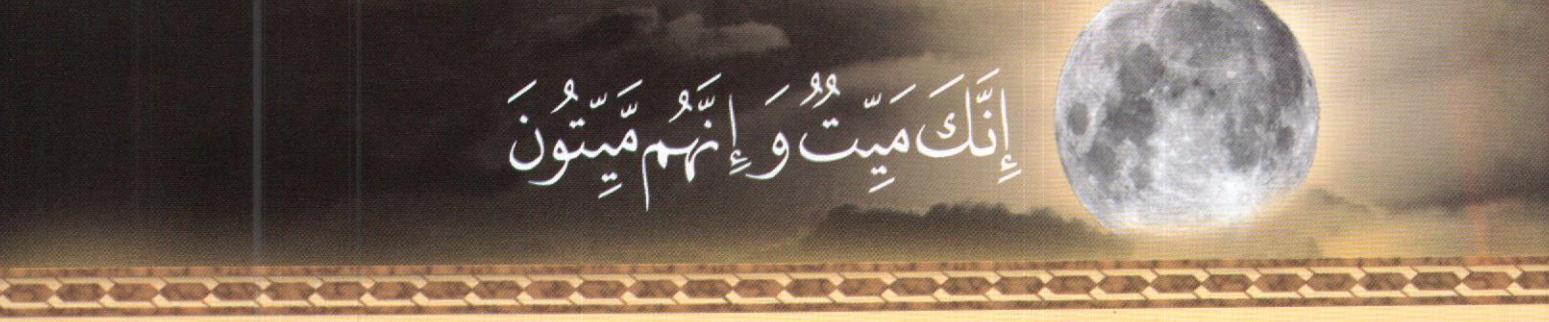

ليس في سرد سيرة محمد ﷺ أو التوقف في محطة من محطات حياته المباركة الميمونة، شيئا من البكائية أو استحضار التاريخ المقطوع الصلة بالواقع المعاش .

إننا نقع في مأزق حضاري مع هذا الرجل الشهم الكريم المبارك رسول الله ﷺ، فنحن قطعنا الصلة مع كثير من تعاليمه، وكذلك لم نقم بنشر أريج أيامه فقد اكتفينا بسرد تقليدي لسيرته أو تضخيم لجانب الغزوات على حساب دراسة جوانب أخرى مهمة في حياته المباركة، وفي الحقيقة لا يستوقفني مايثار من قبل الآخرين حول صدق دعوة النبي فنحن قبل أن نعمل على رد مكائد أو تخر صات الخصوم لنقف قليلا مع ذاتنا كيف خدمنا سيرة ودين الحبيب المصطفى ﷺ.

هل قمنا بالتمحيص للمرويات وبمراجعة الكثير من النصوص التي ألفنا تكرارها دون وعي لها هل تخدم ديننا حقا ؟

متى نكف عن مجرد الرواية والرواية فقط إلى الدراية الواعية ؟؟

أما خصوم الرسالة فنذكرهم بما قاله الكاتب الإنكليزي توماس كار ليل في كتابه الأبطال :

(لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى مايظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداعا مزور ، وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مئتي مليون من

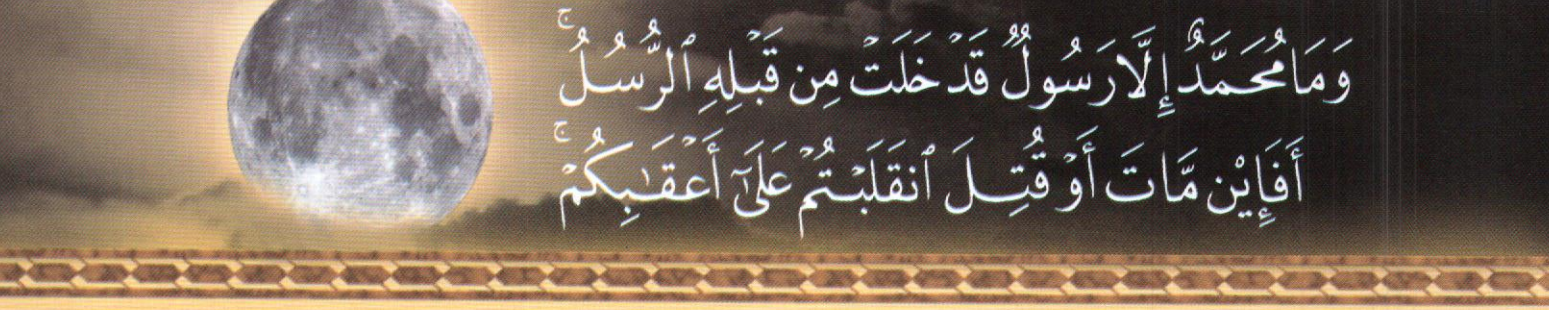

الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل التصديق والقبول، فما الناس إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الأتخلق !!) [٢]. لقد عاش الرسول الكريم زاهدا في كل شئ إلا مرضاة ربه وتبليغ كلماته للناس ، مستبسلا في حماية الحقيقة والذود عن المستضعفين .

كان محمد ﷺ وفيا لأخوته الأنبياء موسى وعيسى. آمن بهما كي يصح إيمانك بمحمد فلو آمنت بمحمد دون أن تؤمن بموسى وعيسى لن تكون مسلما ومؤمنا حقا .

صادق محمد ﷺ الإنسان، علم من حوله القضايا الكبرى، حرض على الخير، تعامل مع خصومه بشرف وصدق، رحم النساء، تسامح مع المخطئين، علم الأطفال، رفق بالحيوان، طالب بنقاء البيئة، نثر أبجديات التحضر والعمران الإنساني، وربط الحياة بالآخرة، وعاش دون أسرار ورفض أن يكون لدينه رموز وكهنوت بل في متناول الجميع .

٢ أنظر روح الدين الإسلامي للأستاذ . عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٧١ .

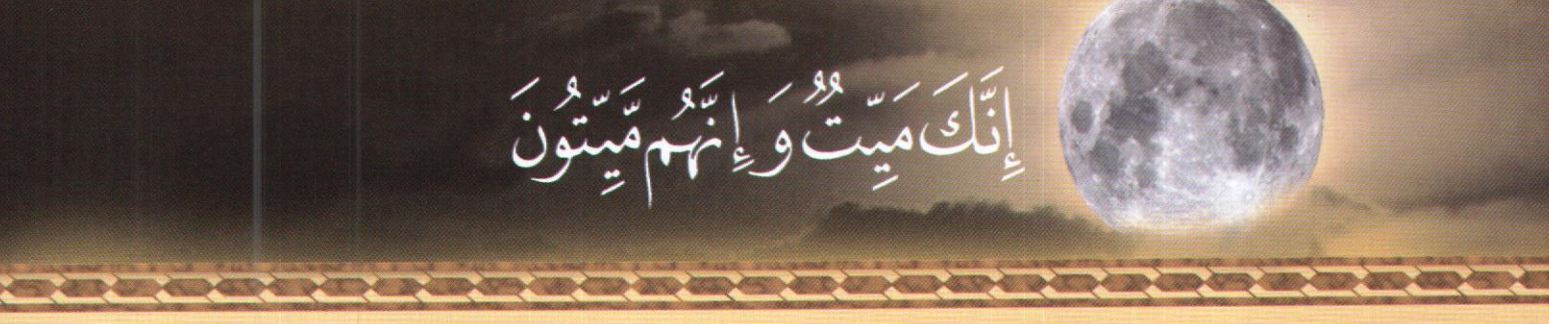

انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يورث درهما ولا دينارا سبحان الله تدين له الجزيرة وتؤول إليه مقاليد كل شئ - تجارة قريش وأموال تجارها والكعبة -وكل شئ ويبقى زاهدا في كل شئ ﷺ.

وشد من سغب أحشاءه وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

وراودته الجبال الشم من ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم

إن محمدنا هو شرف وعز العرب بل والعالم أجمعين.

جدير بنا ونحن في هذا العصر المتحرك أن نجعل عين تاريخه صفحات مباركات، نتوقف فيها على مفاصل أو الأحداث الأخيرة في حياة النبي الكريم ﷺ بماذا كان يفكر ؟ وماذا قال ؟ وماذا أوصى ؟

لفت نظري أن العمل جاء شاملاً وقد تميز بأنه:

* أول عمل متكامل يستعرض قدرا كبيرا من الأخبار الواردة بكل مايتعلق بالأحداث الأخيرة ، قبيل وفاة الرسول وكذلك مايتعلق بوفاته ﷺ .
* الوقوف عند كل حكمة من الممكن استخراجها من سرد الحدث المبارك المتعلق بحياة صاحب الرسالة، والحقيقة أن هذه الحكم جاءت بيانا واضحا وشفافا ومتنوعا في إنسانية وواقعية حياة الرسول المباركة .
* تم رصد الكثير من الشبهات، والتساؤلات التي يمكن أن تثار حول الرسول ﷺ وزوجاته ومعجزة الإسلام الخالدة (القرآن) والحديث عن صحابته الكرام .

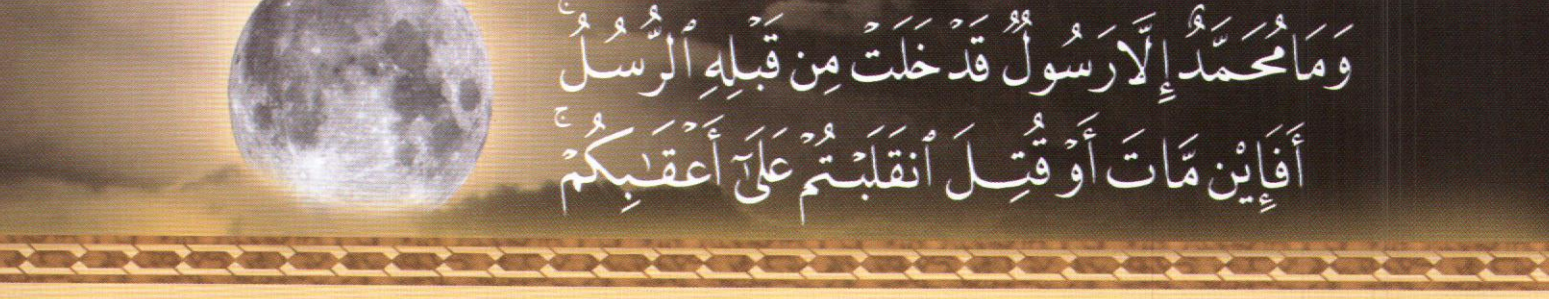

* تعدد المراجع التي تم اعتمادها بين تراثية، ومعاصرة وفق قراءة مزجية تتوخى السياق الصحيح، والدقة في المعلومة ، مع توفير الفكرة العميقة .
* روعة الإخراج الذي هو بحق يعد نقلة نوعية، حيث لم يكن مجرد عمل اعتيادي تقوم به الكثير من الدور الناشرة، بل روعي الجمال الفني، وتم تمييز حديث الرسول ﷺ بخط ولون مغاير ليتعرف المسلم على قول الرسول في الفترة الأخيرة من حياته، وحتى اللون الداخلي للصفحات كان معبرا عن قمر يغيب ولكن نوره باق، وكذلك تم إرفاق صور للآثار المباركة المتعلقة بالنبي الكريم .

إن سيدنا محمد ﷺ هو النقطة المضيئة في تاريخ العرب، وقد أكرم الله به منطقتنا فعاشت بنور دعوته وبسمو دينه أياما، وهو رحمة الله للعالمين فإذا كنت من أتباعه فكن رحمة للناس من حولك .

استمع إليه وهو يدعو ربه فيقول : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به) [٣] .

وهو يقول : (لايرحم الله من لايرحم الناس) [٤].

في القاهرة، والدار البيضاء ، والخرطوم، ودبي ، وبغداد والقدس، والرياض ودمشق ... وسائر عواصم العالم قلوب محبة لمحمد ﷺ .

(٣) مسلم ج ٣ ص ١٤٥٨
(٤) البخاري ج ٢٦٨٦

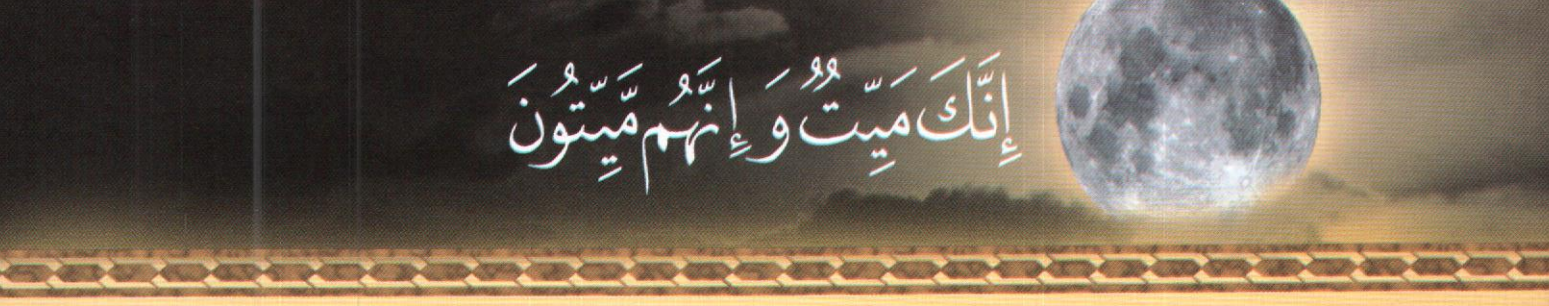

فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يأتي هذا الكتاب (كحلوى) لكل أولئك وهدية ثقافية توقد جذوة القلب ، وتغذي الشعور، وتحيي الروح، وتنشر عبير الذكرى الطيبة في نفوس المحبين .

اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين .

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

الفصل الأول:
شخصية الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم
في القرآن الكريم

محمد أشرف الأعراب والعجم
محمد خير من يمشي على قدم
محمد باسط المعروف جامعه
محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد تاج رسل الله قاطبة
محمد صادق الأقوال والكلم
محمد ثابت الميثاق حافظه
محمد طيب الأخلاق والشيم

البوصيري

قوس النبي صلى الله عليه وآله

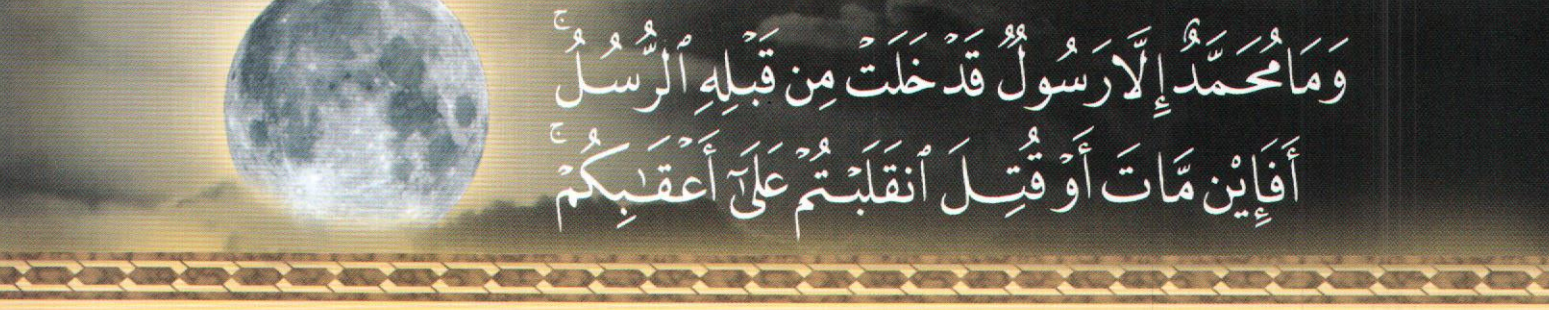

جمال أخلاقك يكمله حسن مظهرك ، ولكن زينة الصورة لا تخفي قباحة الحقيقة

وصف معاصرو الرسول شكله ﷺ وصفاً دقيقاً فقد كان بصورة عامة قوياً شديد البنية، مربوع القامة، يميل إلى الطول لا إلى القصر، ضخم الأكتاف، شديد العصب، ذا أطراف - يدين وقدمين - ضخمة، ثم صار يميل إلى زيادة الوزن في أواخر حياته ﷺ، ذا رأس واسع بشكل متناسق جميل وموضوع بدقة على رقبته ﷺ الطويلة نسبياً والمنسجمة بصورة عامة في موضعها مع الصدر والرأس، وكان للرسول ﷺ جبهة عالية متسعة بين الأصداغ يمر فيها عرق حتى الحواجب، وينتفخ هذا العرق إذا غضب ﷺ أو أثير، أما وجهه فكان بيضوياً تحدده علامات واضحة، به أنف جميل أقنى بعض الشيء، وعينان واسعتان دعجاوان، فوقهما حاجبان قوسيان يكادان ينقفلان معاً، وفم واسع ليس فيه انثناء، يدل على الرشاقة والبلاغة، وأسنان بيضاء منتظمة بها بعض التباعد من الأمام، وشعره ﷺ كان أسود ينسرح على رأسه بدون تجعد، ولحية مليئة كثة وطويلة.

أنت بعقلك لا بعضلك فأجج مدركاتك تصفو حياتك

أما تصرفاته فكانت هادئة ومتوازنة، وكان يمزح أحياناً نادرة لكنه كان يميل إلى الوقار في كل الأحيان، وله ابتسامة عذبة أخاذة، أما حمرة وجهه الأبيض ﷺ فهي غير شائعة في وجوه العرب، ويحمر وجهه في لحظات الحماس والتأثر بشكل رأى فيه أتباعه إشراقاً يعكس نور النبوة.

أما قدراته العقلية ﷺ فقد كانت بدون أي شك من صديق أو عدو فائقة غير عادية وفريدة من نوعها، فقد كان ذا فهم سريع وثاقب، وذا ذاكرة نادرة، وتصور حي، وعبقرية مبدعة، وكل هذا لا يدين به إلى أي تعليم أو معلم، فدقة ملاحظته ﷺ هي أساس معلوماته - قبل النبوة -، والتي خزنتها ذاكرته الفائقة بمعلومات متنوعة حول الوجود والأشياء والتقاليد القديمة، وحديثه اليومي كان واقعياً إلى أبعد الحدود يملؤه بالعظات التي لم يأت مثلها عند العرب، وكان لفظه ﷺ أنيقاً واضحاً دون تأنق أو تشدق مفتعل، تدعمه نبرة صوت عذبة عميقة - تصبح بحة حين المرض - تسمى صحلاً.

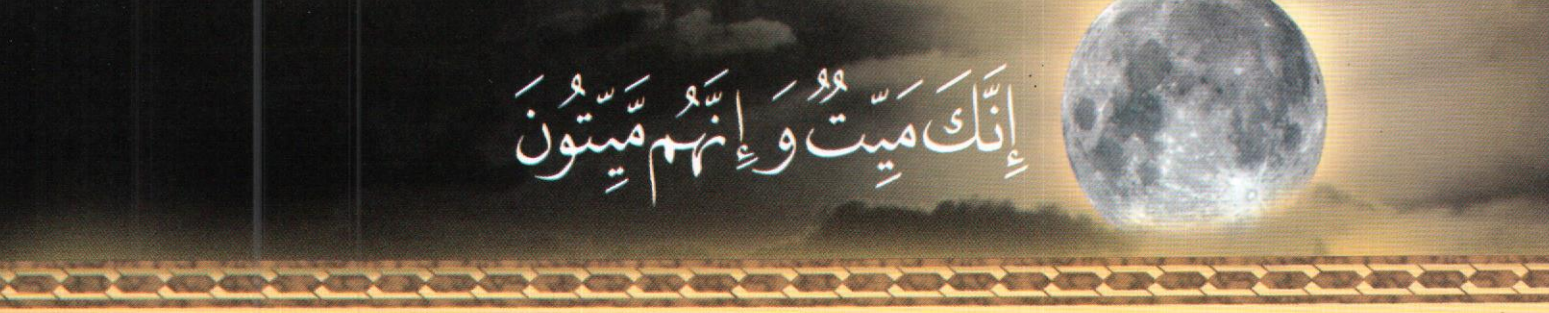

تحكم بسلوكك وعاداتك ، تكسب حياتك

لقد كان الرسول ﷺ ذا قدرة عالية على الضبط الذاتي والتعفف، وخاصة في طعامه وشرابه، وصارماً في مراعاة الصيام، ولم يكن يهتم بظواهر الأشياء، وخاصة بالمظاهر والتباهي التي يقع بها ضعاف العقول، ولم يكن لباسه البسيط ﷺ ليقلل من احترام الناس له، ونتيجة ذلك كله كان زهده بكل المظاهر التي يمكن أن تميزه صلى الله عليه وسلم عن عامة الناس وبالتالي تبعده عنهم، وكان ثوبه إما من الصوف أو القطن اليماني - الذي كان يسمى بالحبرة اليمانية - وكان ﷺ يخيطه كلما اهترأ، كذلك كان يعتم بالعمائم على اختلاف ألوانها ويؤكد أنها كناية عن تيجان الملائكة والعرب، وكان يسدل طرف عمامته على كتفيه ﷺ مؤكداً أن هذه هي الطريقة المثلى للتعمم بها كما تفعل الملائكة، وقد حرم نهائياً لبس الحرير سامحاً بالنسيج الذي يخالط خيطه الحرير فقط، كما كره اللون الحمر في الألبسة ومنع أتباعه من وضع الخواتم الذهبية في أصابعهم، لكنه لبس خاتماً

التشبه المنكور يكون في العقائد والخلال ، لا في الملابس والنعال

من الفضة عليه ختمه ﷺ بارماً الختم إلى جهة الأصابع قرب راحة اليد، وعلى خاتمه نقش العبارات التالية بالتتابع «الله، رسول، محمد» لتقرأ من الأسفل إلى الأعلى «محمد رسول الله» كذلك كان متشدداً بالنظافة الذاتية، والوضوء فرض على المسلمين خمس مرات في النهار على الأكثر، كما نهى الرسول ﷺ عن التبتل مؤكداً أنه لا يُقَرِّب العبد إلى ربه إنكار ومعاوضة غرائز الإنسان، بل يبعد العبد عن الله تعالى الكذب والالتواء فيها، فسنته ﷺ بالزواج المتعدد، لقد أحب الرسول ﷺ الطيب والنساء والطيبات، وقرت عينه ﷺ في الصلاة، وكره الخبائث في هذه الأمور بالإغواء والنفاق والتظاهر بالصلاة والصلاح كذباً، لذلك كان من سنته ﷺ الإكثار من الطيب في ثيابه النظيفة دوماً ودهون الرأس العبق، وكان إذا خطب امرأة أحسن من هندامه وضبط حاجبيه بحركة دائبة، وقد توفي الرسول ﷺ عن تسع نساء، وحصر

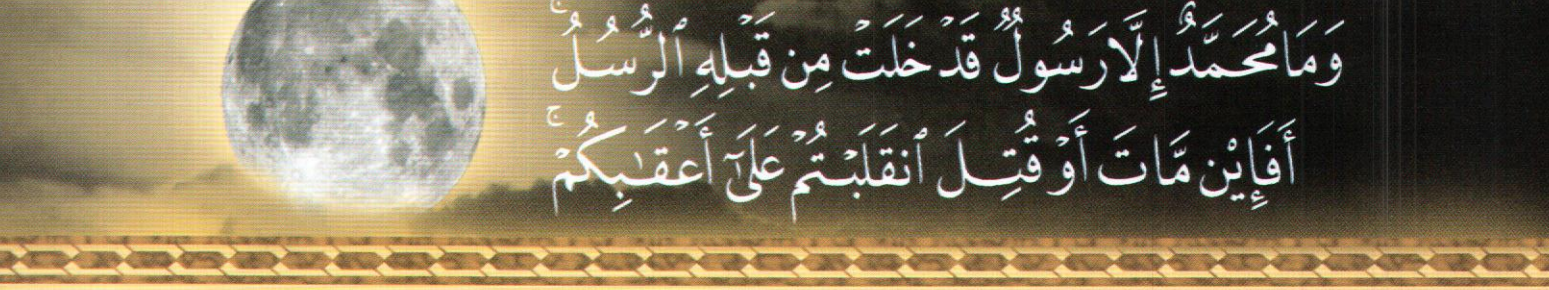

حيثما وجد الإنسان كان الإسلام

كن لطيفاً محبوباً تكن محوراً استقطابياً
﴿ولَوْ كنتَ فظاً غليظ القلبِ لانفضوا مِنْ حَوْلك﴾

بعض العلماء زوجات الرسول ﷺ خلال حياته ﷺ بست عشرة امرأة، رغم أن مؤرخين آخرين عدوهن بخمس وعشرين. وكان ﷺ يطوف على نسائه جميعاً في اليوم الواحد، ولكل منهن منزلها - سكنها - المنفصل عن الأخرى، وقد كان حكم الزواج بهذا العدد مختصّاً به ، ومن بين كل أولاده ﷺ لم يبق عقبه ﷺ إلا في «فاطمة» رضي الله عنها زوجة «علي» رضي الله عنه التي كانت أول أسرته لحوقاً به ﷺ بالوفاة كما تنبأ لها بذلك ومن عقبها لم يجلس على كرسي الخلافة إلى ابنها «الحسن» رضي الله عنه الذي كان يشبه الرسول ﷺ بالشكل إلى حد قريب.

والرسول ﷺ كان عادلاً يحب العدل، فقد كان يعامل الصاحب والغريب، والفقير والغني والقوي والضعيف بالتساوي، وكان محبوباً من الناس بسبب التفاته إلى الكل وسماعه من الجميع، وعدله المطلق بينهم.

وبسبب إرهافه ﷺ بكل مجال كان حاد الذكاء والطبع، قادراً على ضبط كليهما، لذلك كان في كل معاملاته اليومية الخاصة والعامة لطيفاً ومحبوباً، فخادمه الذي خدمه منذ أن كان عبداً عنده في عامة الثمن «أنس»، لم يذكر أنه ﷺ قد أنبه على أي خطأ ارتكبه أو أهانه.

القرآن معجزة الإسلام الخالدة

لم يدع محمد ﷺ أي معجزة سوى القرآن الكريم وكثير من المعجزات التي حصلت لم تكن بمستوى المعجزة القرآنية ، الذي يعتبر من أعجز وأفضل ما قدم إلى البشرية من نص مكتوب، لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال مقارنته بسواه من النصوص، والطريقة التي فيها أنزل عليه ﷺ القرآن الكريم - بصيغة ضمير الغائب - جعلت من سبب النزول حادثة تبرر صلاح النص القرآني لكل زمان ومكان، حتى بغض النظر عن تلك الحادثة، وبحالة عدم الإلمام بها أو معرفتها وتلك هي المعجزة الكبرى من معجزات

القرآن كتاب الله المقروء يهب للإنسان وعياً بنفسه وثقة بإرادته وصلاحاً لذاته وإصلاحاً لغيره

القرآن الكريم، إضافة إلى أن فقهاء الدين الناطقين بالعربية يجدون في البلاغة القرآنية أكبر دليل على أنها ليست من قول أي بشر. وعدم وجود أي ترتيب منهجي كما نفهم نحن المنهج العلمي في إيراد النصوص، في النص القرآني لا يمنع من لا يفهم إلا بالطرق المنهجية من إعادته ترتيبها سواء بطريقة معجمية، أو بطريقة فقهية حسب حاجات التشريع، وهذا ما قام به فقهاء الإسلام على مر العصور، أما التكرار في بعض النصوص القرآنية وخاصة التي تناقش أهل الكتاب فقد نزلت أصلاً لإظهار هذا الخلاف وتأكيده. وكحقيقة تاريخية نجد أن القرآن الكريم قد نزل بمناسبات مختلفة وحفظه أو كتبه أناس مختلفون في أوقات مختلفة، إما على ألواح العظم أو على جلود الرق - الغزال أو الغنم - ووضعت هذه المواد فوق بعضها البعض في صناديق، ولم يجمع القرآن في حياة الرسول ﷺ، وظل متفرقاً إلى يوم وفاته، حيث عمل «أبو بكر» رضي الله عنه على جمع هذه المواد التي كُتِبَ عليها القرآن الكريم لأول مرة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكُلف «زيد بن ثابت» رضي الله عنه الذي كان يكتب للرسول ﷺ بهذه المهمة، خاصة وأن «زيد» رضي الله عنه كان من الحفاظ ومن كتبة الوحي الذين كانوا يكتبون بتوجيه مباشر من الرسول ﷺ فقارن ما حفظ مع ما جمعه من متفرقات الكتاب العزيز من أيدي الصحابة، وما جعل الحفاظ أمثاله يستعيدونه أمامه، لكن ما جمعه «زيد» رضي الله عنه لم يكتب على كاغد، بل ظل على شكله السابق مؤلفاً من مواد متفرقة دون أي فهرسة أو أي جمع منهجي كما نعرف نحن في الجمع والتحقيق، وعن هذا نقل الصحابة مصاحفهم مع بعض الاختلافات في القراءة التي شاعت ونقلت إلى الأمصار. وكاد هذا الاختلاف في القراءات أن يؤدي إلى اختلاف بين المسلمين، تلافاه «عثمان بن عفان» رضي الله عنه في وقت خلافته، باعتماد نسخة واحدة فقط وأمر بالباقي فأحرقت.

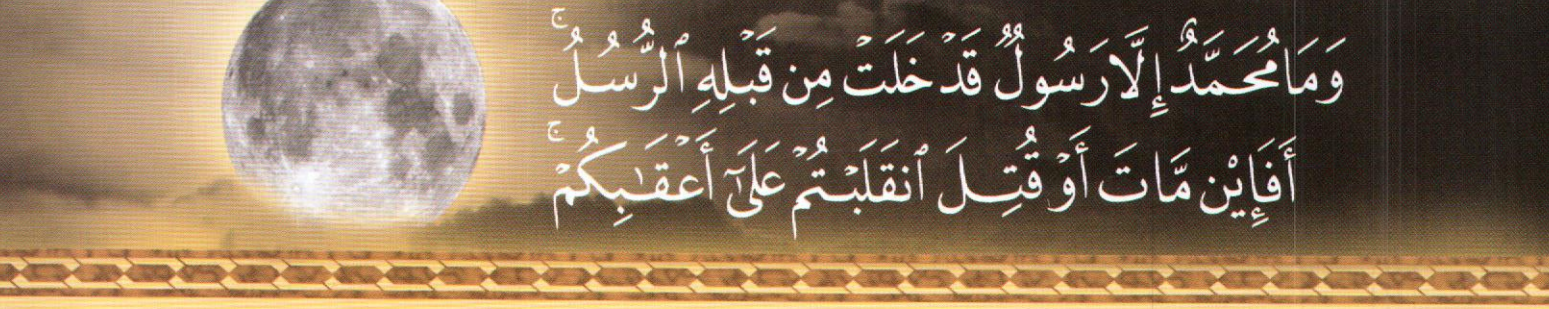

القرآن الذي بين أيدينا هو اللفظ الموحى به إلي محمد ﷺ والواصل إلينا بأرقى طرق الحفظ والتوثيق

لكن بعض المستشرقين الذين لا يريدون أن يقروا إلا بفهمهم الخاص للمنهجية العلمية، رأوا في التكررات والتشابه في بعض الآيات دليلاً على أنها نتيجة سماعها وحفظها وكتابتها بين أناس مختلفين وهي تتناول موضوعاً واحداً، أعادها أناس مختلفون في أوقات مختلفة وبعبارات مختلفة، ولم توضع أصلاً لتأكيد أي خلاف مع الكتب السماوية الأخرى، رغم أن هذا الخلاف يمكن أن يؤكده نص واحد من نصوص الآيات المتشابهة، ولا حاجة للتكرار، فكثير من الآيات التي نزلت بلسان الرسول ﷺ تحكي عن ألسنة أنبياء قبله في أزمان سابقة بعيدة، فهل هذه الأقوال التي لم توجد في العهد القديم هي صياغة جديدة لمعانٍ سابقة؟!

تكفل الله بحفظ كتابه

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

وأوكل إلينا تدبر معانيه

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

السؤال : لماذا اشتغلنا بما عهد لنا ربنا إلى نفسه بالحفظ وتركنا ما أمرنا الله به من تدبر ؟!!

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ
فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا
وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ